





تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله وخليله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فإنَّ أهمَّ ما يجب على العبد العنايةُ به في هذه الحياة الإيمان، فهو أفضل ما اكتسبتْهُ النفوس، وحصَّلتْهُ القلوبُ، ونال به العبدُ الرفعةَ في الدنيا والآخرة، بل إنَّ كلَّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة متوقفٌ على الإيمان الصَّحيح.

فينبغي على كل عبدٍ مؤمن ناصح لنفسه أن يتفقد إيمانه وأن ينظر في حالهِ مع الإيمان؛ هل إيمانه في نماءٍ وقوةٍ وزيادةٍ؟ أو أنه بخلاف ذلك إلى وَهَنٍ وضعفٍ ونقص؟ بل ما أَحْوَجَهُ إلى تجديد الإيمان والسعي في تَتميمِهِ والحذر من مُنقِصَاته ومضعفاتِه، والسعي في تقويته، فإنَّ الإيمان تعتريه أمور كثيرة تنقصه من فتن الدنيا ووساوس الشيطان وقرناء السوء وخلطاء الفساد والنفس

الأمارة بالسوء وغير ذلك من الأمور التي يترتب عليها ضعفه ونقصه فيحتاج إلى سعي حثيث لتقويته وتجديده.

روى الحاكم في «المستدرك» والطبراني في «المعجم الكبير» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الإيمان ليَخْلَقُ في جوف أحدكم كما يَـخْلَـقُ الثوبُ، فاسألوا الله أن يجدِّد الإيمان في قلوبكم**»[١].

فوصف ﷺ الإيمانَ بأنه يَخْلَقُ كما يَـخْلَقُ الثوب، أي أنه يَبْلى ويَضْعُفُ ويدخله النّقصُ من جرَّاء ما قد يقع فيه المرءُ من معاصٍ وآثام، وما يلقاه في هذه الحياة من مُلهياتٍ وصوارفَ متنوعةٍ تصرفه عن الإيمان، وفتنٍ عظام تُذهبُ جِدَةَ الإيمان وحيويتَه وقوَّتَه، وتُضعِفُ جمالَه وحُسنَه وبَهاءَه؛ وهاهنا أرشد النبي ﷺ إلى ضرورة تجديد الإيمان في القلب بالتوجُّه الصَّادق إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فقال: «**فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**» فالمقام يتطلب توجهاً صادقاً إلى الله

---

(١) «الـمُستدرك على الصحيحين» (١/ ٤)، و«المعجم الكبير» (١٣/ ٣٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٥٨٥).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وسؤالاً ملِحاً أن يزيد الإيمان ويقويه، وأن يُجدِّدَه في القلب وأن يمكنه فيه، والله جَلَّ جَلَالُهُ يقول: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[إبراهيم:٢٧]

ولابد من جهاد النفس ومحاسبتها، وإلزامها بالحق وأَطْرِها عليه أطراً، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩].

ولابد أيضاً من الحذرِ الشديد من الفتن، ولاسيما في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه الفتن التي تضعف الإيمان، بل كثيرٌ منها تأتي على الدين من أساسِهِ، وتنقضُهُ من أصله.

والإيمان أثمن شيء في الوجود، وأغلى كنز في هذه الدنيا، ومن افتقده افتقد الحياة الحقيقية، فإنه لا حياة حقيقة للإنسان بلا إيمان، وأما مجرد المشي على الأقدام، والأخذُ بالأيدي، والتكلم بالألسُن دون الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهذه حياة بهيمية، لأنه يشترك فيها الإنسان والحيوان، أمَّا الحياة الحقيقة فهي حياة الطاعة للرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واتّباع

الرسول عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤].

ولقد كان السلف رحمهم الله من الصحابة ومن بعدهم يعنون بإيمانهم عناية كبيرة، ويهتمون به اهتماماً بالغاً، والآثار المنقولة عنهم في تفقُّد الإيمان والعمل تقويته وتجديده كثيرة.

* فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الراشد، يقول لأصحابه: **(هَلِمُّوا نزدد إيمـاناً)**، وفي لفظ: **(تعالَوا نزدد إيمـاناً)**(١)، أي: نجلس ونذكر الله تبارك وتعالى، ونذكر الجنة، ونذكر النار، ونذكر وعيد الله ووَعْدَه، ونذكر رجاءَهُ وخوفه، فنذكر ذلك كلَّهُ حتى يزيدَ إيمانُنا ويقوى.

* وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: **(اجلسوا بنا نزدد إيماناً)**(٢)، وكان يقول في دعائه: **(اللهم زدني إيماناً ويقيناً وفِقهاً)**(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (١١/ ٢٦)، وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١/ ٧٠).
(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٦٨)، وصحَّحه الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٨).

* وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: (**اجلسوا بنا نؤمن ساعة**)[١].

* وكان عبدالله بن رواحة رضي الله عنه يأخذ بيد النَّفَر من أصحابه فيقول: (**تعالَوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله فنزدد إيماناً بطاعته؛ لعله يذكرنا بمغفرته**)[٢].

* ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه: (**مِن فِقْهِ العبدِ أن يعلم أَمُزدادٌ هو أم مُنتَقِص، ومن فِقْهِ العبد أن يعلم نزغاتِ الشيطان أنَّى تأتيه**)[٣].

أي دليلٌ على فقههِ أن ينظر في أمر إيمانه أفي زيادة هو أو نقصان، فكثير من الناس ينقص إيمانه ولا ينتبه؛ وهذا من ضعف الفقه والبصيرة.

* وكان عُمير بن حبيب الـخَطْمي رضي الله عنه يقول: (**الإيمان يزيد وينقص**) فقيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: (**إذا ذكرنا الله عز وجل وحمِدناه**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٢٥)، وصححَّه الألباني في تعليقه على «الإيمان» لابن أبي شيبة (ص٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٢٦)، وهو حسنٌ بمجموع طرقه.

(٣) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة»(٢/ ٨٤٩).

وسَبَّحناه فذلك زيادته، وإذا غَفَلنا وضيَّعنا ونَسِينا فذلك نقصانهُ)[١].

* وكان علقمة بن قيس النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أحد كبار التابعين وأجلَّائهم يقول لأصحابه: (امشوا بنا نَزدد إيماناً)[٢].

* وسئل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإيمان أيزيدُ؟ قال: **(نعم، حتى يكون كالجبال)**، قيل: أفينقصُ؟ قال: **(نعم، حتى لا يبقى منه شيء)**[٣].

* وسئل الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإيمان: يزيد وينقص؟ قال: (يزيد حتى يبلغَ أعلى السماوات السبع، وينقصُ حتى يصيرَ إلى أسفل السافِلِين السبع)[٤].

والآثار والنُّقول عن الصحابة والتابعين والأئمة في هذا المعنى

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ٣٨١) وغيره، وسنده حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في « الإيمان » (ص٣٤) وحسَّنه الألباني في تعليقه على كتاب « الإيمان ».

(٣) أخرجه اللالكائي في « السنة » (٥/ ٩٥٩).

(٤) رواهُ ابن أبي يعلى في « الطبقات » (١/ ٢٥٩).

كثيرة، ومن نظر في سير هؤلاء الصحابة والتابعين والأئمة الأجِلَّاء أدرك كيف كانوا يتفقَّدون إيمانَهم، ويسعَون في زيادته وتقويته، ويبتعدون عمَّا يُضعفه ويُنقصه.

وهكذا الشأن في كل من اتبعهم بإحسان، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالعبد المؤمنُ الموفَّق لا يزال يسعى في أمرين:

- **أحدهما**: تحقيق الإيمان وفروعه والتحقُّق به علماً وعملاً حالاً.
- **والثاني**: السعيُ في دفع ما يُنافيها ويُناقِضُها أو يُنقصها من الفتن الظاهرة والباطنة، ويداوي ما قصَّر من الأول، وما تجرأ عليه من الثاني؛ بالتوبة النصوح وتدارك الأمر قبل فواته)[1].

وفي هذا تنبيهٌ على أهمية مراعاة الجانِبَين؛ فيُعنى العبدُ بجانب تجدد الإيمان وقوَّتِهِ وزيادته، والسعي في تكميله بفعل الطاعات وامتثال أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ.

والأمر الثاني: السعي في دفع الأمور التي تُضعف الإيمان وتُنقصه.

---

(١) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص٣٨).

وهذا يتطلَّب معرفة أمرين عظيمين، ثمَّ العمل والسعي على تطبيقهما:

* **الأول:** أسباب زيادة الإيمان وقوته.

* **الثاني:** أسباب نقص الإيمان وضَعفِه.

وهي كثيرة ، ولكن أشير إلى أهمها على وجه الاختصار والإيجاز.

ونبدأُ أولا بذكر أهمِّ الأمور الباعثة على زيادة الإيمان وتجديده:

* تعلُّم العلم الشرعي

فبالعلم النافع -علمِ الكتاب والسنة- يزيد الإيمان ويقوى حتى يتمكَّن في القلب، وأبوابُ العلم الشرعي كثيرة جدًّا، وأوَّلُ ما يدخلُ في ذلك **قراءةُ القرآن الكريم وتدبُّـرُه**، فإنَّ كلامَ اللهِ من أعظم ما يزيد الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ

كَـٰفِرُونَ ﴾[التوبة:١٢٥-١٢٤]، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد:٢٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، فتدبر القرآن وتلاوته والتأمُّل في آياته يزيد في إيمان العبد.

* معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا

فإن الله ﷻ يقول: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء:١١٠] وقال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال النبيُّ الكريم عليه الصلاة والسلام: « **إِنَّ لله تِسعَةً وتسعينَ اسْماً مائَةً إِلَّا وَاحِداً؛ مَنْ أَحْصاهَا دَخلَ الـجنَّـةَ** »[(١)].

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب: الدعوات، رقم: (٦٤١٠)، ومسلم في « صحيحه » كتاب: الذكر والدعاء، رقم: (٢٦٧٧).

فمعرفة أسماء الله تعالى الـحسنى ومعرفة معانيها ثم العمل بما تقتضيه مِن أعظم أسبابِ زيادة الإيمان.

* التأمُّل في سيرة النبي ﷺ

فإنَّ التأمل في سيرة النبي ﷺ وهديه، وآدابه، وأخلاقه، ومعاملاته، وجهاده، وبذله وعطائه، وغير ذلك؛ من أعظم ما يزيد الإيمان.

* معرفة محاسن الدين الإسلامي

فالدين الإسلامي كله محاسن، إن نظرتَ إلى العبادات ستجدُ أنها أكمل العبادات وأحسنها، وإن نظرتَ إلى العقائد ستجد أنها أصح العقائد وأقومها، وكذا آدابه وأخلاقه أكمل الأخلاق وأجملها وأطيبها، فبالنَّظر إلى هذه المحاسن يزداد العبدُ حباً لهذا الدِّين، وإقبالاً عليه، وعملاً وسعياً في تطبيقِه.

* قراءة سيـرِ السلف الصالح

إنَّ قراءةَ سير السلف كسيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي

وسائر الصحابة، وسير التابعين والأئمة- قراءةَ تأمُّلٍ وتدبُّر واتِّعاظ ممَّا يزيد الإيمان، فكما قيل:

كـرِّرْ عليَّ حديثَـهم يا حادي فحديثهم يجلو الفؤادَ الصادي

❋ التأمل في آيات الله الكونية

فالتأمُّل في خلق الله ﷻ من الأشجارِ والجبالِ والأنهارِ والبحارِ والأوديةِ والسماءِ والأرضِ والنجومِ والقمر وغيرها ممَّا يزيد في الإيمان، بل لو تأمَّل الإنسان في نفسه، كيفَ أنَّ الله خلقَهُ في أحسن تقويم، وعلى أكمل حال، كما قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ سيجد أنها تزيد الإيمان وتقويه:

ولله في كل تـحريكة وتسـكينة أبداً شاهدُ
وفـي كل شيء له آيةٌ تـدلُّ على أنـه واحدُ

❋ طاعة الله وامتثال أمره

تقدَّم معنا قول حبيب الخطمي رضي الله عنه وغيـره من أصحاب النبي ﷺ:

(الإيمان يزيد بطاعة الله)، فالإيمان يزيد بالعبادات كالصلاة، والزكاة، والصدقة، والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، وتلاوة القرآن، وغيرها، فبطاعة الله ﷻ وبامتثال أوامره يقوى الإيمان ويزداد.

والأعمال ثلاثة أنواع:

١- **أعمالٌ قلبيَّـة**: مثل الخوف، والرجاء، والحبِّ، والخشية، والإِنابة، والتوكُّل، وغير ذلك.

٢- **وأعمالُ اللِّسان**: مثل التسبيحِ، التحميدِ، التكبيرِ، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، قراءة القرآن.

٣- **وأعمال الجوارح**: مثل الصدقة، والصلاة، والزكاة، والمشي في طاعة الله تبارك وتعالى، فهذه الأمور كلها تزيد الإيمان.

وهذا تلخيص موجز للأمور التي يزيد بها إيمان العبد، ويقوَى، وأمَّا الأسباب والأمور التي يَضعف بها الإيمان وينقص فهي بلا شك كثيرةٌ أيضاً، والعبد مطالَبٌ بمعرفـتها؛ ليـحذرَ منها

ويتقيها، كما قال الشاعر:

عرفتُ الشَّر لا للشر ولكن لتوقِّيه

ومن لم يعرف الشرَّ من الخير يقع فيه

وقبل الشروع في ذكر الأُمور التي تُنقص الإيمان يحسُنُ أن أُشير إلى أنَّ عدمَ تعاهد أسباب زيادة الإيمان، وإهمال تقويتهِ، وترك العناية به يُعَدُّ سبباً من أسباب نقصِ الإيمان.

ثم إنَّ هناك أسباب وعوامل عديدة ومتنوعة يَنقص بها الإيمان ويضعف، ويمكن أن نَـقْسِمها إلى قسمين رئيسين، ويتفرَّع عنهما عوامل كثيرة:

- **القسم الأول**: فهو الأسباب الداخلية أو العوامل الذاتية التي لها تأثير على الإيمان بالنقص.

- **والقسم الثاني**: هو الأسباب والعوامل الخارجية التي تؤثر على الإيمان بالنقص.

فأبدأ أولاً بالكلام على الأسباب الداخلية التي يكون منشأها من الإنسان نفسِه:

*** الجهل**

وهذا أهمُّ الأسباب الداخلية، والجهلُ ضد العلم، فكما أنَّ العلمَ يزيد في الإيمان ويُقويه، فكذلك الجهل وقلَّة العلم ينشأ عنها ضعف الإيمان، ولهذا كثير من النصوص المتعلقة بدعوة الأنبياء لأقوامهم بيَّنوا لهم أنّ سبب ما هم فيه من الشرك والمعاصي هو الجهل؛ كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل:٥٤-٥٥]، وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر:٦٤]، وقال: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فالجهل رأس الداء، وأساس المصيبة؛ فعندما يجهل العبد دين الله، وما يقرِّب إليهِ ينشأ عن ذلك فعل المعاصي، والانحرافُ البيِّن عن دين الله سُبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ

بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٧]، ومعنى الجهالة في هذه الآية: أي جهالةُ الفاعل لعاقبة المعصية -والتي من أهمِّها سخط الرب عليه وعقابه- فإنه ينغمس فيها وتكثر منه، ولهذا كلُّ من عَصى الله ﷻ فهو يجهلُ ما يترتب على هذه المعصية من أضرارٍ وأخطارٍ كثيرة في الدنيا والآخرة.

* الغفلة

فإذا غفل الإنسان عمّا خُلق له ضَعُفَ إيمانه، والله ﷻ ذمَّ الغفلة في كتابِهِ، وحذَّر أشدَّ التحذير من سبيل الغافلين، وبيَّن ربُّنا في كتابِهِ أنها صفة الكافرين، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٩٢] وقال: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾.

فالغفلة -وهي سهو يعتري الإنسان- داءٌ خطيرٌ يُصِيبُ الإِنسانَ ويُبعِدُهُ عن ذكر الله، وعن امتثال أمر الله، والاطمئنان لطاعة الله ﷻ.

* الإعراض

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]؛ فالإعراض عمَّا أمر الله ﷻ به مِن صفة المجرمين؛ الذين ينتقم الله ﷻ منهم، فلا ينبغي لعبدٍ عندما يسمع كلام الله، أو يسمع حديث رسول الله ﷺ أن يُعرض عنه؛ بل الواجبُ أن يُقبِل على طاعته وامتثاله واتّباعه.

وصحَّ عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر؛ فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحدٌ، قال: فوقَفا على رسول الله ﷺ؛ فأما أحدهما: فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفَهم، وأما الثالث: فأدبرَ ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: « **ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخرُ فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرضَ فأعرضَ الله عنه** »[١].

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » كتاب: العلم، رقم: (٦٦)، ومسلم في « صحيحه » كتاب: السلام، رقم: (٢١٧٦).

* النسيان

فإذا نسيَ العبدُ ما أُمر به ضَعُفَ إيمـانُهُ، والنسيان نوعان:

١- **نسيان لا يُعذَر فيه الإنسان**: وهو ما كان أصلُهُ عن تعمُّدٍ منه، ومن هذا النوع قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩].

٢- **ونوعٌ يُعذَر فيه الإنسان**: وهو ما لم يكن عن تعمُّدٍ منه، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقد جاء في الحديث أنّ الله تعالى قال: «**فعلت**»[١].

* فعل المعاصي وارتكاب الذنوب

فكما أنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعة فهو يَنقص بالمعصية، وأنواع المعاصي كثيرة، وقد بيَّنها النبيُّ ﷺ جملة وتفصيلاً، وبيَّن الكبائر من الذنوب والصغائر بأعظم بيانٍ وأوضحِهِ.

ولهذا ينبغي على العبدِ أيضاً أن يَعرف حجمَ الـمعاصي، وما

---

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» كتاب الإيمان، رقم: (١٢٦).

يترتَّب عليها من خطر وضرر حتى يتحاشاها، وقد ثبتَ عن رسول الله ﷺ قال: « **إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئة نُـكِتتْ في قلبـهِ نكتةٌ سوداء، فإذا هو نَزَع واستغفر وتاب سقل قلبُـهُ، وإن عادَ زِيدَ فيها حتى تعلو قلبَهُ وهو الرَّان الذي ذكر الله:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ »[1].

* النفس الأمارة بالسوء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف:٥٣]، وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذُ في خُطبهِ من شر النفس، قال ﷺ: « **الحمدُ لله نَحمدُهُ ونستَعِينُـهُ ونَستَغفِرهُ ونعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا ومِن سَيِّـئات أَعمالِنَا** »[2]، فاستعاذ من شرِّ النفس ومن سيء العمل.

---

(١) أخرجه الترمذي في « الجامع » أبواب: تفسير القرآن، رقم: (٣٣٣٤)، وحسَّنه الألباني في « الترغيب » (٢/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه هذه الخُطبة أبو داود في « سننه » كتاب: الصلاة، باب: الرجل يخطب على قوس، رقم: (١٠٩٧)، وغيره، وصححه الألباني في رسالته « خطبة الحاجة ».

وثبتَ عنه ﷺ في الدعاء الذي علّمه أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقوله في الصباح والمساء وعند النوم: «**قل: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، ربَّ كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه**»[١] فأمَرَه عليه الصلاة والسلام أن يستعيذ في الصباح والمساء وعند النوم من شر نفسه، فإنَّ النفسَ تأمرُ الإنسانَ بالسوء والفساد وفعل المعاصي، وتدعو إلى المهالك، وتسعى إلى كل قبيح، فهي بطبعها تجري في ميدان المخالفة والإعراض.

أما القسم الثاني فهو:

الأسباب والمؤثرات الخارجية التي تؤثر في الإيمان بالنقص؛ وتتلخَّص في ثلاث عوامل:

*** الشيطان**

وهو أخطرها وأشدها ضرراً؛ فالشيطان هو أَلَــدُّ أعداء الإنسان،

---

(١) أخرجه الترمذيُّ في «جامعه» أبواب: الدعوات، رقم: (٣٣٩٢)، وغيره، وصححه الألباني في «الكلم الطيب» (٢٢).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر:٦]، وقد حذَّرنا ربُّنا منه أشدَّ التحذير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[النور:٢١]، ومن مظاهرِ خطره أنه يجلسُ للإنسان في كل طريق؛ سواء كان هذا الطريق طاعةً لله وقُربة، أو كان الطريق في معصية؛ كما أخبرنا الله ﷻ عن الشيطان أنه قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[الأعراف:١٦-١٧].

فأمَّا طريق الطاعة والقُربة فإنَّه يُثبطُهُ عنها، ويَحول بينه وبينَها، وأمَّا طريق المعصية فيَحـثُّهُ على فعلها ويَدفَعَه إليها، فهو من أخطر ما يكونُ على الإيمان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يضرب مثلاً عجيبا لحال الشيطان مع الإنسان قال فيه: (إذا أردَّت لذلك مَثلاً مُطابِقاً؛ فمثَلُه مَثلُ كلب جائع شديد الجوع، وبينك وبينه لحم أو خبزٌ، وهو يتأمَّلُك ويراك لا تقاوِمُهُ، وهو أقرب منك، فأنت تزجُرُهُ وتصيحُ عليه وهو يأبى

إلا التحوُّم عليك، والغارة على ما بين يديك)[١].

ومرادُه رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا المثل توضيح مدى خطر الشيطان على الإنسان إذا لم يستعذ بالله من شرِّه.

* الدنيا وفِتَنِها

هذا العاملُ خطيرٌ جداً في التـأثير على الإيمان بالنَّقص، لاسيَّما إذا أصبحت الدنيا أكبر همِّ الإنسان، ومَبلغ علمِه، فعلى قدرِ حرصِهِ عليها ورغبتِهِ وافتتانه فيها يكون تثاقله عن الطاعة والعبادة.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد حذَّرنا من الافتتان بها أشدَّ التحذير، قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (ص٤١٩).

وإنَّ مما يعين العبد على إدراك حقيقة الدنيا والزهد فيها، وطلب ما عند الله والدار الآخرةأمران:

• **الأوَّل**: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها، وأنّ العبدَ سيفارقها إمَّا عن قريب أو بعيد.

• **والثاني**: النظر في الآخرة، وأنها آتيةٌ عما قريب، وأنها دار القرار، وأنَّها خيرٌ وأبقى، فإذا تأمل العبد في مثل هذا انتفع أعظم الانتفاع.

* قرناء السوء

قد صحَّ عن النبي ﷺ التحذير من قرين السوء وخليط الفساد قال: «**الرجلُ على دين خليلِهِ؛ فلينظرْ أحدُكم من يُخالل**»(١)، ولهذا ينبغي على المؤمن أن لا يُصاحبَ إلا من تعود من صحبته عليه بالخير والنفع في دينه، وأن يحذَرَ من مخالطة كلِّ أحد.

- يقول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس للمؤمن أن يقعدَ مع كل من شاء)(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» كتاب الأدب، باب: مَن يُؤمر أن يُجالس، رقم: (٤٨٣٣)، وحسَّنَه الألباني في «الصحيحة» رقم: (٩٢٧).

(٢) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة» (٢/ ٤٨١).

- ويقول سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليس أبلغُ في فسادِ رجلٍ وصلاحِهِ من صاحبٍ)[1].

- وكان يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (اعتبروا الناسَ بأخْدَانِـهم فإنَّ المرءَ لا يُخادن إلا من يُعجبه)[2].

فخلطة الفسَّاق وأهل السُّوء من أعظم أسباب نقص الإيمان وضعفِه، بل وربَّما اضمحلالِه وتلاشيه، وذلكَ بحسب حال هؤلاء في السُّوء وبحسب خلطتِه لهم.

وممَّا استجدَّ في زماننا ـ وهو داخل في حكم الصَّاحب بل أمره أشدُّ ـ الجلوس إلى القنوات الفضائيَّة والمواقع المنحرفة في الشَّبكة العنكبوتيَّة، حيث تمكَّن أعداء الدِّين من خلال هذا المجال الدُّخول إلى المساكن والبيوت يحملون فِتَنَهُم وسمومَهم وينشرون رذائلَهم وحقارتَهم وفجورَهم، وكانوا سابقًا يعجزون عن الوصول إلى أفكار الشَّباب وعقول النَّاشئة.

(١) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة» (٢/ ٤٧٨).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٣٩).

وإنَّ منَ المؤسف حقًّا أن أصبح في أبناء المسلمين وبناتِهم من يجلس أمام هذه الشَّاشات المدمِّرة السَّاعات الطِّوَال يُصغي إليهم بسَمعه وينظر إليهم بعَينه، ويُقبل على ما يعرضونه بقلبِه، ومع مرِّ الأيَّام تتسلَّل الأفكار الخبيثة، وتتعمَّق المبادئ الهدَّامة، وتُغزى العقول والأفكار، ويتزايد الشَّرُّ والفَساد.

والواجب على المسلم أن يصونَ نفسَه وبيتَه عن معاول الهدم وطرائق الشَّرِّ، فالأمر في غاية الخطورة، والحافظ هو الله، ومَن يعتصِم بالله فقد هُدي إلى صراط مستَقيم.

اللَّهمَّ أصلح لنا دينَنا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا الَّتي فيها معاشُنا، وأصلح لنا آخرتَنا الَّتي فيها معادُنا،
واجعل الحياة زيادةً لنا في كلِّ خير، والموتَ راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يُقويَ إيماننا ويزيدَه، وأن يجدد الإيمان في قلوبنا، وأن يجعلنا هداة مهتدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم